

الفرانسيكان

واللغات اليونانية والشرقية في القرن الثالث عشر

د. مارتينا زونكاليا

ترجمة: د. أسعد ذبيان

ليس من قبيل التواضع الزائف أن نشر، منذ السطور الأولى في هذا البحث، الذي نقدته إلى هانس روبرت رومير، (الذي تربطنا به صداقة منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً)، إلى أن هذا البحث ليس بمستفيض. وكل من كان له بعض الاطلاع على دراسات التاريخ الثقافي، للعصر الوسيط، لا يجد صعوبة في إدراك ذلك. ففي الواقع، وبالرغم من الظواهر، فإننا ما زلنا بعيدين جداً عن أن تكون لنا في النقد منشورات تناول كل المعلمين الفرانسيكان، الذين تميزوا في القرن الثالث عشر بثقافتهم ومعرفتهم الشاملة. إن التاريخ الوافي لآداب الفرانسيكان في القرن الثالث عشر، لم يكتب حتى الآن. لقد وضعت الخطوط الأولى لبعض محاولات جزئية، لكنها لم تتخط قط مرحلة التخطيط البدائي، وهي في الغالب وحيدة الموضوع. إن ما نقدته هنا ليس إذن، إلا محاولة، تقتصر نتيجتها على إعادة تجميع الأسماء، التي هي على شيء من الشهرة، وفي الوقت ذاته، نرمي إلى تقديم مخطط استدلال، للوسائل التي تمكن من تكوين فكرة عامة، عن الدراسات الشرقية، لدى الجيلين الأولين، من الرهبانية الفرانسيكانية، وإننا لنأمل أن نقدّم بذلك نوعاً من التكملة، في الدراسات العربية، لمؤلف جوهان فوك، «Johann Fück»: Die arabischen Studien in Europa bis in den Anfang des 20. Jahrhunderts, Leipzig 1955, 3 - 25., وللمؤلف أوغومونوريه دوفيار «Ugo Monneret de Villard»: Lo studio dell'Islam in Europa nel XII e nel XIII secolo (Studi e Testi. IIO), Città del Vaticano 1944.

بعد بداية القرن الثالث عشر بقليل، انتقلت الدراسات العليا بمعظمها، من الأديار إلى الرهبانيتين الكبيرتين

(★) ترجمة لمقال بعنوان: M. P. Roncaglia; Les Franciscains et les langues grecque et orientales au XIIIe siècle; in: Die islamische Welt Zwischen Mittelalter und Neuzeit (Festschrift für H. R. Roemer); pp. 530-545. Beirut 1979.

الناشئين حديثاً يومذاك، وهما: الدومنيكان والفرانسيסקان. إنّ الفرانسيסקاني الانكليزي روجيه باكون (Roger Bacon) يدعوههم باعتزاز: «الطلاب المنهجين»^(١) (Ordines studentes)، تمييزاً لهم عن رجال الدين العلمانيين، والرهبان الذين كانوا يزدادون إمعاناً في إهمال الدراسات. ماذا كان إذن موقف الفرانسيסקان، فضلاً عن الدومنيكان، من الدراسات الفيلولوجية (فقه اللغة)؟ لقد منع بابوات القرنين الثاني عشر والثالث عشر، عدّة مرات، الكهنة العلمانيين والرهبان، من الاسترسال في درس العلوم الزمنية، أي غير اللاهوتية^(٢)، ومع ذلك، فقد لبثت عدّة مدارس رهبانية تحافظ على تدريس «الفنون»، لكنّها أخذت تزداد ندورة لكي لا تضمحلّ تماماً.

في هذا الوضع، كان تدريس العلوم الزمنية، حتى ظهر الدومنيكان والفرانسيסקان على المسرح الأوروبي. فالدومنيكان، مثلاً، اتخذوا سنة (١٢٢٨ م) موقفاً فيه كثير من الحزم قضت به التواصي الرومانية: «لا يُدرّس رجال الدين أيّاً من كتب الوثنيين والفلاسفة، إلّا أن يكون مجرد إلقاء نظرة عابرة فحسب، ولا يتعلّم قطعاً العلوم الزمنية، ولا ما يدعى بالفنون الليبرالية، إلّا أن يمنح أحياناً رؤساء الرهبانية أو المجمع العام (Les Maîtres de l'Ordre) بعض الإعفاءات الفردية، وليكتفين رجال الدين الشبان بالانقطاع لدراسات اللاهوت»^(٣). إنّ هذا الموقف المتشدّد للدومنيكان يحمل على إدراك ما اقتضى أن يكون عليه مسلك الفرانسيסקان بهذا الشأن، ونذكر للقديس فرنسوا الأسيزي (Saint François d'Assise) رسالة نهى فيها اخوانه عن الاشتغال بالدراسات غير اللاهوتية^(٤). لكنّ الظروف كانت في أزمة، وهذه الأزمة هي في أصول الرهبانيتين الجديديتين اللتين أزمعتا على إيجاد حلّ لها. فانطلقت زخية جديدة: إنّ الدومنيكان «مبشرون»، والفرانسيסקان «مُرسلون»، ومن غير ثقافة ومن غير لغات، لا تكون رسالة ولا يكون تبشير. وهكذا، فإنّ أنجيلجنسيا (أهل الفكر) الدومنيكان والفرانسيסקان جهرت سريعاً بالتغيير، وخلال وقت قصير نسبياً، استأنفت «الفنون الليبرالية» سيرها الطبيعي في الأديار والجامعات. فمناهج معهد الآداب في جامعة باريس طرأ عليها تغييرات مهمّة. وبعد عدّة تحولات، فإنّ كتابات أرسطو وشروح ابن رشد ازداد انتشارها، فوضعت اللاهوت في مأزق حرجٍ لمصلحة الفلسفة، وبالرغم من هذه الأزمات الثقافية، فإنّ عدداً من مدرّسي الفنون، بحسب شهادة الفرانسيסקاني روجيه باكون^(٥)، الموثوق بقيمتها، كانوا يعرفون اليونانية، وغيرهم يعرفون لغات أخرى كالعبرية.

انقسم العالم الثقافي الفرانسيסקاني إلى تيارين: التيار الانكليزي، ومركزه أوكسفورد، والتيار القاري، ومركز الجذب فيه، باريس. كانت المدرسة الفرانسيסקانية في أوكسفورد، ترفض الرأي الذي كان في أواسط الفرانسيסקان في باريس والقارة قانوناً. لقد وجدت الفنون الليبرالية دعاء متحمسين في أواسط الفرانسيסקان

الأوكسفورديين^(٦). وهذا يفسّر السبب في كثرة عدد اللغويين بين الفرنسيين البريطانيين. هذه التغييرات كانت كما اسلفنا، مقدّرة في الزخيّة الرسوليّة الجديدة التي كان الفرنسيين والدومينيكان قد أطلقوها في مجرى التاريخ الديني في عصرهم^(٧). وهذه الانتفاضة في دراسات الفقه اللغوي أقرّها مجمع قينا (١٣١١ - ١٣١٢ م) بمرسوم ينصّ على تدريس اللغات الشرقيّة في مدن باريس، وأوكسفورد، وسالامنكا، وبولونيا (في إيطاليا)، وفي البلاط البابوي حيثما وجد^(٨): إنّنا في مطلع القرن الرابع عشر، الذي أفاد من العلماء الذين عُنوا في القرن السابق؛ بالفقه اللغوي اليوناني والشرقي^(٩).

جامعة باريس:

- غليوم لوبروتون (Guillaume Lebreton): إنّ أقدم تحقيق للكتاب المقدّس (Correctorium de la Vulgate) كتبه فرانسيسكاني، هو بلا ريب تحقيق غليوم لوبروتون. وهو أكثر شهرة بعنوان التحقيق السوربوني «Correctorium Sorbonicum». وبالواقع فإنّ مخطوط القرن الثالث عشر الذي وصل إلينا (باريس، المكتبة الوطنية: ١٥٥٥٤، ١٤٧ - ٢٥٣) كان يخصّ مكتبة السوربون^(١٠). ومنه، وصلت إلينا كتابة أخرى معروفة بعنوان: «Expositiones vocabulorum Bible ordine alphabetico»، ونعثر عليها في عدد كبير من المخطوطات، إليك قائمة بها وفقاً للترتيب الأبجدي في المكتبات^(١١):

Avranche, 34.

Bruges, 95, 540.

Cambrai, 472.

douai, 62.

Epinal, 81.

Lyon, I, 2.

Metz, 327, 512.

Montpellier, Bibl. de l'Ecole de Médecine, 236.

Oxford, Balliol College, II.

Paris; Bibl. Nat., 521-523-593 594, 599, 600, 612, 10446, 10448, 12945, 14504, 14795, 15376, 17254, 17254.

Saint-Gall, 234.

Toulon, 59.

Tours, 31, 32.

Valenciennes, 94.

ليس تفسير كلام التوراة الذي يقدمه غليوم لوبروتون ذا قيمة إبداعية كبيرة، وشيوع المخطوط يتصل بلا ريب بما اتسم به من سهولة الاستعمال. وقد نُظِمَ وفقاً للترتيب الهجائي. إنه في رأينا، لا يخلو من بعض الأهمية، لأنه يعبر عن بعض المعارف العبرية، وإن لم تكن ثمرة معرفة فقهية شخصية.

- **جيرار دوهويو** (Gérard de Hoyo)، هذا الفرنسيكاني من القرن الثالث عشر، هو أيضاً مؤلف تحقيق لغوي (Correctorium Linguarum)، وبالتخصيص في العبرية واليونانية واللاتينية^(١٢). وهذا المؤلف استعان به فرانسيسكو بتراركا، (Francesco Petrarca)، الذي كان يعرفه باسم «Triglossos». وبحسب ما كتب جيرار دوهويو نفسه، فهو مؤلف كتاب عنوانه: «Grammaticus proprius Ellenismos vocitatus»، وضعه بعد كتابه «Correctorium»، وهذا كلامه بنصّه: «... est codex parvus a nobis postea scriptus»^(١٣). ولم يبق من هذا الكتاب إلى الآن أي أثر.

بيانفانو مونتاناري دو مودين (Bienvenu Montanari de Modène)، إنَّ كاتب الحوَلات سالمينه دو بارم (Salimbéné de Parme) عرف شخصياً في دير دو ريغيو أميليا «Reggio Emilia» فرانسيسكانياً اسمه بنفوتوس مونتاناري (Benvenutus Montanari) من مدينة «مودينا» فكتب عنه من جملة ما كتب من أشياء، أنّه «كان يعرف اليونانية واللاتينية... وأنّه بجائّة وذو ذكاء وقاد ومقدرة رفيعة، وذاكرة مذهلة». هذا الأخ بيانفانو (Bienvenu) أو بنفوتوس كان يملك مكتبة غنيّة، جمعها بجهد يوم كان يدرّس في جامعة باريس^(١٤). ونحسب أنّه في غياب الأدلة الأكثر دقة، يجوز لنا أن نعتقد أنّه درس اليونانية في دير الفرنسيكان الجامعي في باريس، القريب من السوربون، والذي بقيت منه آثار حتى اليوم.

جامعة أوكسفورد:

- **هايمون دو فافرشام** (Haymon de Faversham) - ١٢٤٤ م، كانت أوكسفورد وسطاً ملائماً بشكل خاص لنمو الدراسات اللغوية ولكن المدرسة الحقيقية للفقّه يجب أن نتوخاها لدى الفرنسيكان الانكليز أنفسهم.

من أبرز الوجوه في المدرسة الأولى الفرنسيكانية في أوكسفورد هو بلا مراء **هايمون دو فافرشام**. ففي سنة (١٢٣٤م) أرسله البابا غريغوريس التاسع لإجراء مفاوضات وحدوية مع العاهل بازيلوس (Basileus)

جان فاتاتريس (Jean Vatatzès) فسّلت^(١٥) عليه معرفته اليونانية المحاورات اللاهوتية . وقد انتهر هايمون (Haymon) ورفقاؤه فرصة وجودهم في القسطنطينية ليشتروا « وفرة من الكتب اليونانية » . وتخبرنا اليوميات أنَّ العاهل بازيلوس «Basileus» دعا، خلال إحدى المناقشات، واحداً من الأخوة، تَمَن وهب لهم الله نعمة معرفة اليونانية جيداً، إلى المناظرة . « ففتح هذا كتاب القديس كيرلوس (Cyrille) واخذ يقرأ باليونانية »^(١٦) . قرائن الرواية تحمّل على الاعتقاد أنَّ من قرأ وناقش باليونانية ليس غير هايمون دو فاقرشام^(١٧) .

- غليوم دولامار (Guillaume de la Mare) - ١٢٨٥ م، لم يعرف الفقه اللغوي المتبع في مدرسة الفرانيسكان في أوكسفورد، في القرن الثالث عشر، بحسب روجيه باكون، ممثلاً له أشهر من غليوم دولامار الرجل الكلّي الحكمة . فقد تخطى، كمحقق للتوراة^(١٨)، كل العلماء من معاصريه، بمعرفته العميقة للتوراة وتضلّعه الراسخ من فقه اللغة . وبفضل جهد عنيد شغله خلال أربعين سنة، اضطلع بإعادة نص الفولغاتا (Vulgate) إلى صفاء جوهرها، وهي الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس . واستعان لهذا الغرض بنصوص لاتينية قديمة، ويونانية وعبرية^(١٩) . وقد بلغت ثمره أعماله في فقه اللغة عبر عدّة مخطوطات . إنّ «Le Codex» «Einsiedlensis 28, au folio 405» تحمل اسمه بكل صراحة^(٢٠) : «Incipit correctio Bible compilata per Magistrum et Fratrem Wilkermum de Mara Ord. Min» . «Vaticanum» المحفوظ في الـ : «Ms. lat. Vatic. 3466» والذي يرى فيه علماء التوراة المعاصرون « أنه أفضل تحقيق في القرن الثالث عشر »^(٢١) .

غليوم دولامار، هو أيضاً مؤلف «De hebreis et grecis vocabulis Glossarium Bible» المشهور والمحفوظ في مكتبة تولوز : «Toulouse Ms. 402» وفي مكتبة لورانزيانا في فلورنسا : «Cod. 4, Plut. 25» . ويوجد ملخص عن هذا المؤلف في الـ «Ms. 28 d'Einsiedeln (Fol. 212, 488 - 495)» لتجميع هذا الـ «Glossarium Bible» رجع إلى مخطوطات قديمة من القرنين التاسع والعاشر، وإلى نسخة من التوراة قديمة جداً لدير القديسة جنيفافا «Abbaye de Saint - Geneviève» ، وإلى نسختي التوراة لشارل لوشوف (Charles le Chauve) والقديس غريغوريوس الكبير : (Saint Grégoire le Grand) . واستعان أيضاً بمخطوطات عبرية و « بالترجوم » ترجمة الكتاب المقدس (Targum) ، وتحت اسم «Perus» يورد تعليقات ربّاني راشي «Rabbi Rachi»^(٢٢) الشهير .

- روجيه باكون (Roger Bacon) - ١٢٩٢ م، وجد أيضاً في الوسط الفكري الاكسفوردي مجالاً ملائماً جداً لمفاهيمه الخاصة في فقه اللغة . كان يفتخر بقدرته على تعلّم لغة شرقية بوقت قياسي، من غير تحديد للأعمار، بل حتى للأولاد الصغار ! وقد شدّد مراراً وبإسهاب في كتاباته على أهمية دراسة اللغات واللاتين -

بحسب قوله - لم يبتدعوا شيئاً؛ وحكمتهم كلها، مأخوذة عن اليونان والعبرين والعرب، لأن هؤلاء كانوا واثري الفلسفة. ويضيف «باكون» قائلاً إنه لن يكون لللاتين أن يبلغوا الحكمة، إلا أن يعرفوا اليونانية، والعبرية، والكلدانية، والعربية، فهي لغات الوحي الأصلية. وهذا مع ذلك نصّه: ^(٢٣) «Notitia linguarum est prima porta sapientiae» وفيه أيضاً معنى جدّ معاصر عن فائدة اللغات الشرقية: ^(٢٤) «Nullus Latinus sapientiam Scripturae sacrae poterit ut oportet intelligere, nisi intelligat linguas a quibus sunt translatae».

هذه الصيغ تكون الهدف الحقيقي الذي قصد إليه «روجيه باكون»، الذي لم يشأ قطّ تقبل الفكرة القائلة إنّ فقه اللغة أو قواعدها (الغرامطيقا) كانا عمليتين مستقلتين. وهذه، باختصار، الأدلة التي يقيّمها «روجيه باكون» لتبرير دراسة اللغات الشرقية:

١ - كل كتب الأسفار المقدسة ومؤلفات الفلاسفة كتبت بالعبرية واليونانية: فإذا أردنا الاطلاع على الأصلية منها، كان علينا إذن أن ننكبّ على دراسة هذه اللغات، إذ إنّ الترجمات تكون دوماً مضلّة، ولا تستطيع مطلقاً المحافظة على «Proprietas linguae» أو كما نقول اليوم: على «عبقريّة اللغة».

٢ - تعلّم العبرية واليونانية تزداد ضرورته بقدر ما في مفردات اللاتينية من فقر.

٣ - وأخيراً، ليس الضروري أن يملك المرء اللغة التي يترجمها فحسب، بل يجب أن يلمّ إماماً تامّاً بالموضوع الذي يعالجه. ويضيف باكون قائلاً بمرارة: الأمر الذي يبدو أنه ليس كذلك لدى أغلبية المترجمين الذين هم كذبة، ما عدا سيفران بوتيس (Séverin Boethius) وروبير غروستست (Robert Grossteste). إنّ روجيه باكون يبرز في معرفة اللغات الشرقية التوراتية ثلاثة مستويات: معرفة القراءة، وإحراز قدر من البراعة للترجمة، وأخيراً التكلم بها كالتكلم باللغات الأم^(٢٥). وهناك عامل آخر يجب أن يحمل على تعلّم اللغات الشرقية وهو أنّ الغرامطيقا اللاتينية بحسب النظرية الباكونية، تتحدّر من الغرامطيقا اليونانية والعبرية، لا من حيث الحركات أو أحرف الهجاء فحسب بل من حيث المنهج النحوي أيضاً. حالياً، إنّ ثمة بحثاً حول «باكون» وافرة نسبياً، إذا ما قيست بالبحوث حول معاصريه، يستدلّ منها أنّه بفضل معارفه في فقه اللغة، كان على جدارة تقوّله أن يكون كاتب الغرامطيقا الأولى للغة اليونانية في القرن الوسيط، وواضع العناصر الأولى للغة العبرية لتكون في خدمة من يريدون تعلّم مبادئها الأولى (Rudimenta). ففي ما خصّ اللغة العبرية، اعتمد النطق السفّردّي (حرفية نصوص الاسفار) الشائع في اسبانيا والبرتغال وإيطاليا^(٢٦). ومع أنّه كان يجهل اللغة العربية. فقد شجّع على دراستها^(٢٧)، وشجّع أيضاً على اللجوء إلى نسخة التوراة الأصلية، بدلا من التريث: ^(٢٨) «circa quaestiones, quod patet omnibus per tractatus et summas» «Quamvis autem principalis occupatio

«...studii theologorum deberet esse circa textum (= la Bible) suum (= original), sciendum est...»
باريس وبولونيا - يلاحظ « روجيه باكون » أيضاً ولكن بمرارة - أن أستاذ العلوم الدينية مهان جداً أمام الـ
«lector libri Sententiarum»^(٢١) إذ كان مضطراً إلى أن يستجدي ساعة تُركت فارغة، لكي يلقي محاضراته .
وكان على النص المقدس أن يخلي المكان أمام الـ «summae magistrales»^(٢٠) .

آدم دومارش (Adam de Marsh) - ١٢٥٨ م ، كان الصديق الحميم لروبير غروستست (Robert Grossteste) الشهير (١٢٥٣ م) . وهذا تخلى له في وصيته عن مكتبته الغنية التي كانت تحتوي على مجموعة كبيرة من المخطوطات اليونانية^(٢١) . ليس لدينا أي أثر أدبي عن معارفه في فقه اللغة اليونانية أو اللغات الشرقية الأخرى ، بالرغم من الميل إلى افتراض^(٢٢) معرفته تلك . وفي كل حال فإن مكتبة غروستست «Grossteste» في اوكسفورد تستطيع إرشادنا إلى المصادر اللغوية المباشرة التي استعملها روجيه باكون^(٢٣) .

مبتشرون ومبعوثون حَبْرِيون ... إلخ .

- **بيرارد** (Bérard) وأوائل شهداء المغرب الفرانسيكيان: المغرب هي أرض معمودية الدم لرهبانية الفرانسيكيان . ففي سنة (١٢١٩ م) أرسل فرنسوا الأسيزي (François d'Assise) ستة رهبان إلى المغرب . فسلكوا الطريق عبر إسبانيا . وفي أراغون (Aragon) مرض رئيسهم الأخ فيتاليس (Vitalis) . فخلفه الأخ بيرارد ، وتابع المرسلون طريقهم ، متنكرين بثياب التجار . وفي الباسيو (Passio) أو رواية استشهادهم ، نطلع على تفصيل يهنا : وهو أن الأخ بيرارد كان يعرف اللغة العربية^(٢٤) . وكان ينتهز كل فرصة ليشر بجرأة فائقة في الساحات وفي الأسواق بالآيمان المسيحي . أين تعلم العربية ؟ لا نعم عن ذلك شيئاً ، وحتى هذه الإشارة في الباسيو (Passio) ، لا نعم إذا كانت لا تدع مجالاً للشك بهذه المعرفة .

- **بارتيليمي** (Barthélemy) ، في سنة (١٢٣١ م) أرسل « ايمانويل كومنينوس دو كاس (Emmanuel Komnénos Dukas) حاكم السالونيك وأبيرا (Epire, Thessalonique) ، جورج باردنيس (Georges Bardanès) ، ميتروبوليت كورفو (Corfou) ، في مهمة دبلوماسية إلى إيطاليا . فمرض خلال إقامته في دير كاسول (Casole) البيزنطي ، قرب أوترانتو (Otrante) في الـ «Pouilles» . فانتهز بعض الفرانسيكيان الفرصة ، وقدموا إليه ، بقيادة أخ يتكلم اليونانية^(٢٥) يدعى بارتيليمي . وكان لا ريب من ايطاليا الجنوبية ، الـ (Magna Graecia) القديمة ، حيث يتكلم الناس عاميات مزيجية باليونانية ، كما هي الحال في أيامنا هذه . والنقاش الذي جرى عن المطهر (Purgatoire) (وهو الأول في الحوار اللاتيني) كان بلغة صحيحة: ويبدو أن بارتيليمي هو مؤلف البيان^(٢٦) .

- **سالمبيني وتوما** (Salimbéné et Thomas) في سنة (١٢٤٩م)، لقي المؤرخ الفرنسيكاني سالمبيني دو بارم (Salimbéné de Parme)، مصادفة، أثناء رحلته المتواترة، زميلاً يونانياً يدعى أيضاً **سالمبيني**. كان هذا الأخير، وهو من أب إيطالي وأم يونانية، ينتمي إلى دير الفرنسيكان في القسطنطينية، وكان ماراً بقيينا في الدوفيني (Dauphiné)، كساع للعاهل فاناتريس (Vatatzès) في طريقه إلى ليون، حيث كان عليه أن يقابل البابا. في ذلك الدير في قيينا، صادق المؤرخ سالمبيني في الوقت نفسه فرانسيسكانياً آخر، يدعى **توما** وهو «الاستاذ» (= Professeur) في دير القسطنطينية. وكان الأخ سالمبيني (القسطنطيني) يتكلم اللاتينية واليونانية والايطالية بطلاقة، في حين أن الأخ **توما** كان يتكلم اللاتينية^(٣٧) واليونانية فقط. ليس لدينا أي أثر عن نشاطاتهم العارضة في فقه اللغة، مع أن لقب استاذ «Lector» يشير إلى أن الأخ **توما** كان يمارس نشاطاً أكاديمياً، ومن الأرجح جداً أنه في التعليم اللاهوتي.

أنج كلارينوس (Ange Clarénus) التجأ الأخ كلارينوس إلى اليونان كرهاً فراراً من المضايقات التي كان يلاقها في إيطاليا، بسبب أفكاره الدينية الصارمة، فعاش في المنفى حتى سنة (١٣٠٥ م). وبعد نحو سنوات عشر سلخها في منطقة كورنثا (Corinthe)، تعلم اللغة اليونانية إلى حد مكث منذ سنة (١٣٠٠ م)^(٣٨) من ترجمة عدة كتب من اليونانية إلى اللاتينية.

بادرو كالفغو (Pedro Gallego) - ١٢٦٧ م، بادرو كالفغو الفرنسيكاني^(٣٩) مستعرب تميّز بكتابه البالغ الأهمية للراغبين في ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية. بحته **الأول**، يحمل العنوان التالي^(٤٠) «Liber de animalibus et de naturali diuesitate et moribus eorum ac de membris, astutia et accidentibus illorum translatus ex libro Aristotelis et Averrois et Auctorum Arabum et aliorum commentatorum» وبحته **الثاني** يعالج الاقتصاد المنزلي، ويحمل العنوان الآتي: «Compilata breuiatio de scientia domestica» أو^(٤١) «De speculatione in regitiva domus»^(٤٢)

وليس البحث الأخير ترجمة بسيطة للنص العربي، بل هو احتواء لما فيه. وبالفعل، فإن «بادرو» أراد أن يعطي الترجمة وجهاً آخر، بإزالة كل العبارات التي كانت، بحسب رأيه، لا تتفق ومبادئ إنشاء العائلة المسيحية. لقد تولّى تقديم بحث مسيحي عن الاقتصاد المنزلي، مستعملاً نصاً عربياً سابقاً.

يَحْتَلُّ إلينا، لعدم توافر معلومات أخرى، أن «بادرو» تعلم اللغة العربية في اسبانيا نفسها^(٤٣).

جيروم داسكولي (Jérôme d'Ascoli) - المتوفي سنة ١٢٩٢ م، في عداد المندوبين الأربعة الذين أرسلهم البابا غريغوار العاشر (Grégoire X) إلى البلاط الامبراطوري البيزنطي، للبحث في نهج الكنائس اللاتينية

واليونانية سنة (١٢٧٣ م)، وجد الفرانيسكاني « جيروم داسكولي »، الذي أصبح فيما بعد، نيقولا الرابع^(٤٣). وكان بحسب المصادر التاريخية، الوحيد الذي يتكلم اليونانية^(٤٤).

Franciscains de Péra de Galathas.

في سنة (١٢٩٣ م) أعاد ريشارد دو سيفالوني (Richard de Céphalonie) علاقاته الدبلوماسية مع حاكم أيبيرا^(٤٥)، وبهذه المناسبة أرسل فرانسيسكانيين من دير بير^(٤٦) (Péra). وهذا ما جاء في نص الحولية^(٤٧): «IL:

جاك دو بانيزاري (Jacques de Pannizzari).

روى لنا المؤرخ الفرانيسكاني سالمبييه دوبارم (Salimbéné de Parme)، أن أحد أبناء عمومته، جاك دوبانيزاري (Jacques de Pannizzari)، الملقب في مسقط رأسه، بارم «Parme»، بـ «جاك دوترومير» (Jacques d'Outremer) بسبب إقامته الطويلة بين الصليبيين^(٤٨)، «Optime sciuit arabicum, id est, saracenicum...» ولم يدخل الكهنوت الفرانيسكاني^(٤٩) إلا بعد رحلته وراء البحار.

فيدانتوس دو بادو (Fidentius de Padoue)

أقام هذا مدة طويلة في الشرق، حيث انتخب أسقفاً في^(٥٠) (Vicarius Terre sancte) للفرانيسكان الموجودين في فلسطين، وسورية وغيرها. وهو مؤلف الـ «Liber recuperationis Terrae sanctae» الشهير^(٥١). خلال إقامته في دير طرابلس في سورية (لبنان حالياً)، قبل سنة (١٢٦٨ م)^(٥٢)، أطلع في كتاب عربي، على نبوءة تصف المصير الذي ينتظر انطاكية. وهذا الكتاب بحسب ما كتب هو نفسه، قد اطلعه عليه عربي مسيحي^(٥٣). فهل يجب أن نستنتج أن فيدانتوس دوبادو كان يعرف العربية؟

انطلاقاً من عدة دلائل في كتابه «Liber» يُخَيَّل إلينا أن نعم: ودليل ذلك، إقامته بين ظهراي الجيش المسلم، ومكثه الطويل في بلاد الشام مضطرباً بمهام خطيرة... إلخ.

رامون لول (Ramon Lulle) - ١٣١٦ م، كان منذ سنة (١٢٩٢ م) واحداً من العائلة الدينية الكبيرة غير الرهبانية الفرانيسكانية، إلا أن نشاطاته اللغوية والتبشيرية ترقى إلى ما قبل ذلك بكثير. وهذا القطلوني، Ce، catalan، ذو الروح الدينامية، تعلم العربية من عبد مغربي. أفكاره واساليبه في مادة الدراسات العربية كثيراً ما وضعت تحت الدرس^(٥٤). وكان رامون لول، رجلاً فعالاً، فأنس دير «ميرامار» في جزيرة مايوكا

(Majorque)^(٥٥) وقد أَيْده البابا يوحنا الحادي والعشرون سنة (١٢٧٦ م) برسالة من فيتارب (Viterbe). ولمعرفة هذه المؤسسة ومعرفة أخرى غيرها تما أنشأ، ومرماه كان دائماً تشجيع الدراسات العربية، يجب الرجوع إلى ما نطالعه في سيرته، فزى أن^(٥٦):

«sub eodem tempore impetravit etiam Raymundus a praedicto rege Maioricarum (= Jacques d'Aragon) unum monasterium construi in regno suo et possessionibus dotari sufficientibus, ac in eodem tresdecim Fratres Minores institui, qui linguam ibidem discerent arabicam...»

وهذا من ناحية أخرى، نصّ الموافقة البابوية، الموجهة إلى جاك داراغون (Jaques d'Aragon)^(٥٧) : «qui statuit et etiam ordinavit, ut in insula Majoricensi, in loco qui dicitur Daja, in parrochia sancti Bartholomaei Vallis de Musa, monsterium sive locus religiosus construatur, in quo tredecim fratres ordinis Minorum, qui iuxta ordinacionem et institutionem provintialis ministri continue in arabico studeant...» .

وهذه المؤسسة كانت قد وجدت فعلاً، كما يؤكد «رامون لول» نفسه في قصيدته (Lo Cant de Ramon, سنة ١٢٩٩ م):

«Lo Monastir de Miramar
Fiu à Frares menors donar
Per Sarrahins à preycar...»

هذه المؤسسة لم تعمّر طويلاً: وظلّ ذكرها يرد حتى سنة (١٢٩٢ م)، وربما كانت نهايتها سنة (١٢٩٥ م). وفي كل حال، فإنّ الدير آل إلى أيدي الـ «Cisterciens» سنة (١٣٠٣ م).

إلى أيّ مدى عرف «رامون لول» العربية؟ إنه لمن الصعب توثيق ذلك. والذي كتبه بالعربية لم يصلنا منه شيء. إنه مكث بعض الوقت في جنوا (Gênes) أثناء ذهابه إلى روما، سنة (١٢٧٦ م). «Ubi... praedictum. librum scilicet Artis inventivae transtulit in arabicum».

وحتى يومنا هذا ليس ثمة أثر من هذه الترجمة، وفي كتابه: «Liber super psalmum, Quicumque vult sive liber Tratari et Christiani». يعبر عن إعجابه بجمال لغة القرآن: وربما كانت هذه الشهادة المزكية، هي الوحيدة التي عرفت عن مسيحي في القرن الوسيط! وفي سنة (١٣٠٨ م) ترجم إلى اللاتينية كتابه: «Disputatio Raymundi et Hamar Sarraceni» وكان قد ألفه قبل بالعربية.

وفي كتاب آخر، «Felix de les Marvelles del Mon» - ألفه رامون لول ما بين سنة (١٢٨٦ و ١٢٨٧م) - عرض إنشاء خمس مؤسسات أخرى على غرار «ميرامار»^(٥٨). وفي سنة (١٢٩٦م)، اقترح على البابا بونيفاسيوس الثامن (١٢٩٤ - ١٣٠٣م)^(٥٩) «quod in diversis locis ad hoc aptis per terram christianorum ac in quibusdam locis etiam Tratarorum fiant studia idimatum diversorum...» وفي كتابه: «Liber de aquisitione Terra Sanctae»، عرض تأسيس ثلاثة أديار لدراسة العربية^(٦٠).
لقد كانت أهدافه الرئيسة تبشيرية، لكن فكره كانت جذّ عصرية.

الحواشي.

(١) J.S. BREWER: Fr. Rogeri Bacon Opera quaedam hactenus inedita. London 1859, 398, 426-427, 432

(٢) A. CALLEBAUT: Jean Peckham et l'Augustinisme. Dans: Archivum Franciscanum Historicum 18 (1925), 451-456.

(٣) Constitutiones antiquae ordinis fratrum praedicatorum, ed. H. Denifle. Dans: Archiv für Literatur- und Kirchengeschichte des Mittelalters. I (1885), 22, note 28.

(٤) Même si l'authenticité de cette lettre a été mise en doute par Ottokar Bonmann: De authenticitate epistolae S. Francisci ad S. Antonium Patavinum. Dans: Archivum Franciscanum Historicum 45 (1952), 474-492, cela n'enlève rien à un état d'esprit généralisé à cette époque-là.

Compendium studii philosophici, ed. J.S. Brewer, 434. (٥)

(٦) JOHN M. LENHART: Language Studies in the Franciscan Order. A Historical Sketch New York 1926, 5-6. L'œuvre classique en la matière reste la version italienne de Ilarino Felder: Storia degli studi scientifici nell' Ordine francescano dalla sua fondazione fino a circa la metà del sec. XIII. Versione dal tedesco. Siena 1911. Cette version avait été revue, corrigée et augmentée par l'auteur lui-même.

(٧) HENRICUS DENIFLE et A. CHATELAIN: Chartularium Universitatis Parisiensis... II. Parisiis 1891, 154s., cf. 169.

(٨) EWALD MULLER: Das Konzil von Vienne, 1311-1312. Seine Quellen und seine Geschichte. (Vorreformationsgeschichtliche Forschungen, XII). Freiburg im Br. 1934; J. LECLER: Vienne. (Histoire des Conciles Ecuméniques, VIII). Paris 1964. Clément V (1305-1314), en vue de développer les missions chrétiennes en Orient, approuva le canon 11, consacré à l'étude des langues orientales et qui avait été sollicité par Ramón Lull: «Hoc sacro approbante concilio, scholas in subscriptarum linguarum generibus, ubicumque Romanam curiam residere contigerit, nec non in Parisiensi, Oxoniensi, Bononiensi et Salamantino studiis, providimus erigendas, statuantes ut in quolibet locorum ipsorum teneantur viri catholici sufficientem habentes hebraicae, graecae, arabicae et chaldaicae linguarum notitiam, duo videlicet uniuscuiusque linguae periti, qui scholas regant inibi, et libros de linguis ipsis in latinum fideliter transferentes alios linguas ipsas sollicitè doceant, eorumque peritiam studiose in illos

instructione transfundant, ut instructi et edocti sufficienter in linguis huiusmodi fructum speratum possint, Deo auctore, producere...»: **Corpus Iuris Canonici pars secunda. Decretalium collectiones. Constitutiones Clementinae**, liber V, titulus I, caput I. Lipsiae 1922, 1179. Sur la part de Ramón Lull dans ce canon, voir BERTOLD ALTANER: Raymundus Lullus und der Sprachkanon (Can. 11) des Konzils von Vienne. Dans: *Historisches Jahrbuch* 53 (1933), 190-219.

F.L. CROSS (ed.): **Council of Vienne**. Dans: *The Oxford Dictionary of the Christian Church*. London 1974, 1439 s.

S. BERGER: **Des essais qui ont été fait à Paris au XIIIe siècle pour corriger le texte de la Vulgate**. (10) Dans: *Revue de Théologie et de Philosophie* (1883), 58-62.

P. GLORIEUX: **Répertoire des Maîtres en Théologie de Paris au XIIIe siècle. I**. Paris 1933, 456 nr. (11) 225

Cf. *Archivum Franciscanum Historicum* 3 (1910), 202, note. (12)

ROBERT WEISS: **Per la storia degli studi greci del Petrarca: il «Triglossos»**. Dans: *Annali della Scuola Normale Superiore di Pisa, Serie seconda*, 21 (1953), 252-264. (13)

Gronica Fratris Salimbene, Ordinis Minorum edidit OSWALDUS HOLDER-EGGER. Dans: (14) *Monumenta Germaniae Historica, Scriptorum tomus XXXII*. Hannoverae-Lipsiae 1905-1913, 631.

Edition critique par GIROLAMO GOLUBOVICH. Dans: *Archivum Franciscanum Historicum* 12 (15) (1919), 418-470; MARTINIANO PELLEGRINO RONGAGLIA: **Les Frères Mineurs et l'Eglise Grecque Orthodoxe au XIIIe siècle, 1231-1274**. Le Caire 1954, 44-84.

GIROLAMO GOLUBOVICH: **Biblioteca bio-Bibliografica delle Terra Santa e dell' Oriente Franciscano**. (Serie Prima). I Quaracchi 1906, 163-169. (16)

GOLUBOVICH: op. cit. I. 165 note 1, et *Arch. Franc. Hist.* 12 (1919), 425, (17)

GLORIEUX: **Répertoire**. II, 99, nr. 317; ROBERT WEISS: **The Study of Greek in England during the fourteenth Century**. Dans: *Rinascimento* 2 (1951), 211-214. (18)

HENRI DENIFLE: **Quel livre servait de base à l'enseignement des Maîtres en Théologie dans l'Université de Paris?** Dans: *Revue Thomiste* 2 (1894), 158. (19)

G. MEIER: **Catalogus codicum manu scriptorum qui in bibliotheca monasterii Einsiedlensis servantur**. I. Einsiedlae 1899, 20. (20)

P.C. SPICQ: **Esquisse d'une histoire de l'exégèse latine au Moyen-Age**. Paris 1944, 171. (21)

S. BERGER: **Quam notitiam linguae hebraicae habuerint Christiani medii aevi temporibus in Gallia**. Parisiis 1893, 32-36. (22)

BREWER: **Fr. Rogeri Bacon Opera quaedam**, 102 (Opus Tertium). (23)

J.H. BRIDGES: **The Opus Maius of Roger Bacon**, edited with Introduction and analytical table. London-Edinburg-Oxford 1900, 81. (24)

Brewer: op. cit. 65-66 (opus tertium).

E. NOLAN AND S.A. HIRSCH: **The Greek Grammar of Roger Bacon and a Fragment of his Hebrew Grammar**. Edited from the Mss. with Introduction and Notes. Cambridge 1902, 3-196: 27: Bacon soutient que les divergences des langues sont purement accidentelles, tandis que leurs principes essentiels seraient les mêmes pour toutes. Voir la recension de cette édition par P.L. HEISENBERG. (25)

Dans: *Byzantinische Zeitschrift* 12 (1903), 343-347 et les remarques de ROBERT WEISS: *The Study of Greek in England during the fourteenth Century*. Dans: *Rinascimento* 2 (1951), 215-217; BERTOLD ALTANER: *Kenntnis des Griechischen in den Missionsorden während des 13. und 14. Jahrhunderts. Ein Beitrag zur Vorgeschichte des Humanismus*. Dans: *Zeitschrift für Kirchengeschichte* 53 (1934), 436-493 et les remarques de mon ami RAYMOND J. LOENERTZ dans: *Archivum Fratrum Praedicatorum* 5 (1935), 387-391.

SPICQ: *Esquisse*, 106 et la bibliographie; l'ensemble des points touchés par nous sont développés dans le volume édité par A.G. LITTLE: *Roger Bacon. Essays contributed by various writers*. Oxford 1914.

H. RASDALL (ed.): *Compendium studii theologiae of Roger Bacon*. (British Society of Franciscan Studies). Aberdeen 1911, 34; M.D. CHENU: *Théologie comme science au XIII^e siècle* 3^e éd. Paris. 27. note.

RASDALL: *op. cit.* 34. (21)

DENIFLE-CHATELAIN: *Chartularium*. I. 473; HENRI DE LUBAC: *Exégèse médiévale. Les quatre sens de l'Écriture*. (Théologie 41). I. Paris 1959, 117. (22)

Adae de Marisco Epistolae (epist 76). Dans: J.S. BREWER: *Monumenta Franciscana*. I. (Rerum Britannicarum Medii Aevi Scriptores 4.) London 1858, 185; R. WEISS: *The Study of Greek in England*, 213. (23)

REINHOLD PAULI: *Über Bischof Grosseteste und Adam von Marsh*. Tübingen 1864. (24)

LUDWIG BAUR: *Der Einfluss des Robert Grosseteste auf die wissenschaftliche Richtung des Roger Bacon*. Dans A.G. LITTLE: *Roger Bacon. Essays*, 34-54. (25)

Analecta Franciscana. III. Quaracchi 1897, 585; NOE SIMONUT: *Il metodo di evangelizzazione dei Francescani tra Musulmani e Mongoli nei secoli XIII-XIV*. Milano 1947; CARLO LONGHI: *La formazione intellettuale dei missionari dal secolo XIII al secolo XVIII*. Roma 1938; SILVIO ZOCCHETTA: *La organizzazione esterna ed interna delle Missioni francescane (1220-1492)*. Roma 1949 (Thèse dactylographiée), et M.P. RONCAGLIA: *Storia della Provincia di Terra Santa. Volume I. I Francescani in Oriente durante le Crociate (sec. XIII)*. (Biblioteca Bio-Bibliografica della Terra Santa e dell'Oriente Franciscano. Serie quarta: Studi). Cairo 1954, 79-80. (26)

M.P. RONCAGLIA: *Il primo incontro dei Francescani con i Greci: fra Bartolomeo, O.F.M., e Georgios Bardanes a Casole (Otranto) 15 ottobre — 17 novembre 1231*. Dans: *Atti dell' VIII Congresso di Studi Bizantini*. I. Roma, 448-452, et M.P. RONCAGLIA: *Les Frères Mineurs et l'Eglise Grecque Orthodoxe au XIII^e siècle (1231-1274)*. Le Caire 1954, 23-28. (27)

L'édition critique de la dispute a été faite par M.P. RONCAGLIA: *Georges Bardanès, métropolite de Corfou, et Barthélemy de l'Ordre Franciscain*. (Studi e Testi Franciscani. 4.). Rome 1953, 56-75. (28)

Cronica fratris Salimbene, 320 et 322; ODULPHUS VAN DER VAT: *Die Anfänge der Franziskanermissionen und ihre Weiterentwicklung im nahen Orient und in den mohammedanischen Ländern während des 13. Jahrhunderts*. Werl in Westfalen 1934, 107; RONGAGLIA: *Les Frères Mineurs*, 112 ss. (29)

Une liste de ses traductions a été dressée par LIVARIUS OLIGER: *Expositio Regulae Fratrum* (30)

Minorum auctore fr. Angelo Clareno. Quaracchi 1912, xxvi s. et xxxiv-xxxvi.

Le premier historien qui le mit en évidence fut AUGUSTE PELZER: *Un traducteur inconnu: Pierre (†) Gallieo, franciscain et premier évêque de Carthagène (1250-1276)*. Dans: *Miscellanea Franz Ehrle*. I. Roma 1924, 407-456.

Cod. lat. Vatic. 1283, fol. 131r — 161r. (11)

Cod. lat. Barber. Vatic. 52, fol. 22r — 24r; cod. lat. Paris. 6818, fol. 28r — 30r. (12)

ATANASIO LOPEZ: *Pedro Gallego, primer obispo de Cartagena*. Dans: *Archivo Ibero-Americano* (13) 12 (1925) no. 70, 65-97; l'auteur apporte quelques précisions de détail à l'étude de PELZER: *Un traducteur inconnu*, etc.

GOLUBOVICH: *Biblioteca Bio-Bibliografica*. II, 4, 95, 96, 126, 417-423; RONCAGLIA: *Les (14) frères Mineurs*, 144-159.

VAN DER VAT: *Die Anfänge*, 173, note 55; pendant son séjour à Constantinople il s'était lié (15) d'amitié avec Georgios Métouchès, Cod. Vatic. gr. 1716, fol. 73v; cf. M.-H. LAURENT: *Le bienheureux Innocent V (Pierre de Tarantaise)*. (Studi e Testi. 129). Città del Vaticano 1947. 441 s.

Sur les circonstances historiques de cet événement voir W. MILLER: *The Latins in the Levant*. A (16) *History of Frankish Greece*. London 1908, 179 ss.

Sur ce couvent voir GOLUBOVICH: *Biblioteca Bio-Bibliografica*. II, 552-553. (17)

J.A.C. BUCHON: *Recherches historiques sur la principauté française de Moré et ses hautes baronies*. I. Paris 1845, 319. (18)

Cronica fr. Salimbene, 55.

GOLUBOVICH: *op. cit.*, I. 161. (19)

ALFONSO BEREBO MORTE: *B. Fidenzio da Padova*. Dans: *Le Venezie Francescane* II (20) (1942), 62-72; M.P. RONCAGLIA: *St Francis of Assisi and the Middle East*. Third Edition. Cairo 1957, 63, 75 s.

Edition critique par GOLUBOVICH: *op. cit.* II, 1-60 (21)

RONCAGLIA: *St Francis of Assisi*, 53. (22)

GOLUBOVICH: *op. cit.* II, 26 (23)

JOHANN FUCH: *Die arabischen Studien in Europa bis in den Anfang des 20. Jahrhunderts*. Leipzig 1955, 16-22 (24)

UGO MONNERET DE VILLARD: *Lo studio dell'Islam*, 40-41; E. ALLISON PEERS: *Ramón (25) Lull*. A *Biography*. London 1929, 131-137.

B. DE GAIFFER. Dans: *Analecta Bollandian* 48 (1930), 130-178; nous nous limitons au § 17 (p. (26) 154-155).

A. RUBIO Y LLUCH: *Documents per l'història de la cultura catalana migeval*. II, 4-5. On peut voir (27) aussi l'étude sans prétentions, mais utile de JOAN MAURA: *Lo Beat Ramón Lull, fundador del primer col·legi de llengües orientals*. Dans: *Revista Luliana* 2 (1902), 260-266.

VAN DER VAT: *Die Anfänge*, 178; MONNERET DE VILLARD: *Lo studio dell'Islam*, 41 (28)

MONNERET DE VILLARD : *op. cit.*, 43 (29)

Edition critique d'EPHREM LONGPRE. Dans: *Criterion* 3. Barcelona 1927, 271 (30)